

ویران محل



# القَصْرُ الخَرَابُ



# القَصْرُ الخَرَابِيُّ

للإمام فضيلة الشيخ الداعية الكبير  
أبي بلال محمد إلياس العطار القادري الرضوي  
حفظه الله تعالى

تعريب  
مجلس التراجع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا  
 محمد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه الطيّبين  
 الطاهرين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:  
 فقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من  
 صَلَّى عَلَيَّ فِي يَوْمٍ أَلْفَ مَرَّةٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ  
 الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

### صَلُّوا عَلَيَّ الْحَبِيبِ! صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيَّ مُحَمَّد

عن أبي القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه قال: دَخَلْتُ  
 الْكَوْفَةَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِي، فَرَأَيْتُ دَارًا لِبَعْضِ الرُّؤَسَاءِ وَقَدْ شَفَّ  
 عَلَيْهَا النَّعِيمُ وَعَلَى بَابِهَا عَبِيدٌ وَغِلْمَانٌ، وَفِي بَعْضِ رَوَاشِنِهَا  
 جَارِيَةٌ تُغْنِي، وَهِيَ تَقُولُ:

أَلَا يَا دَارُ لَا يَدْخُلُكَ حُزْنٌ	وَلَا يَعْثُ بِسَاكِنِكَ الزَّمَانُ
فَنِعْمَ الدَّارُ أَنْتِ لِكُلِّ ضَيْفٍ	إِذَا مَا الضَّيْفُ أَعْوَزَهُ الْمَكَانُ

<sup>(١)</sup> أورده عبد العظيم المنذري (ت ٦٥٦هـ) في "الترغيب والترهيب"، ٣٢٦/٢،  
 (٢٥٩١)، والزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) في "الاتحاف"، ٢٧٤/٥.

قال: ثُمَّ مَرَرْتُ بِهَا بَعْدَ مُدَّةٍ فَإِذَا الْبَابُ مُسَوِّدٌ وَالْجَمِيعُ مُبَدَّدٌ، وَقَدْ ظَهَرَ عَلَيْهَا كَابَةُ الذَّلِّ وَالْهَوَانِ وَأَنْشَدَ لِسَانَ الْحَالِ:

ذَهَبَتْ مَحَاسِنُهَا وَبَانَ شُجُونُهَا	وَالدَّهْرُ لَا يُبْقِي مَكَانًا سَالِمًا
فَاسْتَبَدَّكَ مِنْ أَنْسِهَا بِتَوْحُشٍ	وَمِنَ السُّرُورِ بِهَا عَزَاءً رَاغِمًا

قال: فَسَأَلْتُ عَنْ خَبَرِهَا فَقِيلَ لِي: مَاتَ صَاحِبُهَا فَآلُ أُمِّهَا إِلَى مَا تَرَى فَفَرَعْتُ الْبَابَ الَّذِي كَانَ لَا يُقْرَعُ فَكَلَّمْتَنِي جَارِيَةً بِكَلَامٍ ضَعِيفٍ فَقُلْتُ لَهَا: يَا جَارِيَةُ! أَيْنَ بَهْجَةُ هَذَا الْمَكَانِ وَأَيْنَ أَنْوَارُهُ وَأَيْنَ شُمُوسُهُ وَأَقْمَارُهُ وَأَيْنَ قُصَادُهُ وَأَيْنَ زُورَارُهُ؟ فَبَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ: يَا شَيْخَ! كَانُوا فِيهِ عَلَى سَبِيلِ الْعَارِيَةِ ثُمَّ نَقَلْتَهُمُ الْأَقْدَارَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ وَهَذِهِ عَادَةُ الدُّنْيَا تُرَحِّلُ مَنْ سَكَنَ فِيهَا وَتُسِيءُ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا فَقُلْتُ لَهَا: يَا جَارِيَةُ! مَرَرْتُ بِهَا فِي بَعْضِ الْأَعْوَامِ وَفِي هَذَا الرَّوْشَنِ جَارِيَةٌ تُغْنِي:

أَلَا يَا دَارُ لَا يَدْخُلُكَ حُزْنٌ

فَبَكَتْ وَقَالَتْ: أَنَا وَاللَّهِ تِلْكَ الْجَارِيَةُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الدَّارِ أَحَدٌ غَيْرِي فَالْوَيْلُ لِمَنْ غَرَّتْهُ دُنْيَاهُ<sup>(١)</sup>.

(١) ذكره الياضي في "روض الرياحين"، الحكاية الرابعة عشرة بعد المئتين، ص ٢٠٤، وابن الجوزي في "التبصرة"، ٢٦٩/١، واللفظ للياضي.

أَيُّهَا الْمَسْلُومُونَ: انظُرُوا إِلَى هَذِهِ الْحِكَايَةِ كَيْفَ وَقَعَتْ  
هَذِهِ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الدَّارِ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مُشْتَغِلُونَ بِزِينَةِ الدُّنْيَا  
وَلذَاتِهَا وَمُنْهَمَكُونَ فِي شَهَوَاتِهَا، وَهُمْ مُتَشَاغِلُونَ عَنِ ذِكْرِ  
قُبُورِهِمْ، وَمُسْتَعْرِقُونَ فِي الْمَعَاصِي وَالْخُمُورِ وَالْمَلَاهِي وَالْمِزْمَارِ،  
وَمُنْعَمِسُونَ فِي اتِّخَاذِ الْبُيُوتِ وَالْقُصُورِ وَلَكِنْ قَدْ خَرَجَتْ أَكْفَانُهُمْ  
مِنْ عِنْدِ الْقَصَّارِ، وَهُمْ غَافِلُونَ عَنْهَا، فَجَاءَتْهُمْ الْأَجَالُ، وَخَذَلَتْهُمْ  
الْأَمَالُ، فَأَصْبَحُوا فِي ظُلُمَاتِ الْقُبُورِ وَأَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً،  
خَامِدَةً مِنْ بَعْدِ طُولِ تَقْلِبِهَا، وَأَجْسَادُهُمْ بِالْيَةِ وَدِيَارِهِمْ خَالِيَةً  
وَأَثَارُهُمْ عَافِيَةً، هَذِهِ الْحِكَايَةُ مَلِيئَةٌ بِالْعِبْرَةِ وَالْمَوْعِظَةِ، فَالْعَجَبُ  
لِمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا زَائِلَةٌ وَفَانِيَةٌ وَمَتَاعُ الْعُرُورِ، فَكَيْفَ  
يَنْكَبُ عَلَيْهَا مَعَ نِسْيَانِ الْمَوْتِ نَسْيَانًا كَامِلًا؟ وَهَذَا الْخَبْرُ مِمَّا  
يُنَبِّهُ عَلَى الْحَذَرِ مِنْ غُرُورِ الدُّنْيَا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِي النَّاسُ  
إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَنُّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنُّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾

[فاطر: ٥/٣٥]. وَأَتَّخِذَ سَيِّدُنَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْتًا مِنْ جِصٍّ، فَقِيلَ:  
لَوْ بَنَيْتَ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا، قَالَ: هَذَا كَثِيرٌ لِمَنْ يَمُوتُ<sup>(١)</sup>.

(١) "العقد الفريد" لأحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، كتاب الزمردة في  
المواعظ والزهد، قولهم في الموت، ١٣٦/٣.

ولكن مع الأسف الشديد نحن منهمكون في بناء البنيان وتشبيد المعاقل، وغافلون عن الموت وسكراته والقبر وأهواله، وقال شاعر<sup>١</sup>:

زَيْنَتَ بَيْتِكَ جَاهِلًا وَعَمَرْتُهُ	وَلَعَلَّ غَيْرَكَ صَاحِبُ الْبَيْتِ
مَنْ كَانَتِ الْأَيَّامُ سَائِرَةً بِهِ	فَكَأَنَّهُ قَدْ حَلَّ بِالمَوْتِ
وَالمرءُ مُرْتَهَنٌ بِسَوْفٍ وَلَيْتَنِي	وَهَلَاكُهُ فِي السَّوْفِ وَاللَّيْتِ
للَّهِ دَرُّ فَتَى تَدَبَّرَ أَمْرَهُ	فَعَدَا وَرَاحَ مُبَادِرَ المَوْتِ <sup>(١)</sup> .

واعلموا إخواني المسلمين أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يكره التَّطاول في البنيان والاستغراق في زخرفته، كما رُوِيَ عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج، فرأى قُبَّةً مُشْرِفَةً فقال: «ما هذه؟». قال له أصحابه: هذه لفلان، رجل من الأنصار قال: فسكَّتَ، وحمَلَهَا في نفسه حتَّى إذا جاء صاحبُها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، يُسَلِّمُ عليه في الناس أَعْرَضَ عنه، صنَعَ ذلك مِرَارًا حتَّى عَرَفَ الرَّجُلُ الغَضَبَ فيه والإعراضَ عنه،

(١) أورده الأندلسي في "العقد الفريد"، ١٣٧/٣، والإمام ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) في "موسوعته"، كتاب المتمنين، ٣٥١/٣، (٢١٦).

فشكا ذلك إلى أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، فقال: والله !  
 إني لأنكرُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا: خَرَجَ فرأى  
 قُبَّتَكَ فرجع الرجلُ إلى قُبَّتِهِ فهَدَمَهَا حتَّى سَوَّاهَا بالأرضِ،  
 فخرَجَ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذاتَ يومٍ فلم يَرَهَا،  
 فقال: «ما فَعَلْتَ القُبَّةَ؟». قالوا: شكا إلينا صاحبُها إعراضَكَ  
 عنه فأخبرناه فهَدَمَهَا، فقال: «أما إنَّ كلَّ بناءٍ وبألٍ على صاحبه  
 إلَّا ما لا، إلَّا ما لا». يعني: ما لا بُدَّ منه<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ أحمد يار خان النعميُّ رحمه الله تعالى في  
 شرح هذا الحديث: إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يأمره بهدمِ  
 القُبَّةِ، ولم يُقَلِّ بِعَدَمِ الجوازِ، ولكنَّه رضي الله عنه عَرَفَ أنَّ  
 النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان غَضِبَ عليه لأجلِ بناءِ القُبَّةِ  
 فهَدَمَهَا إرضاءً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

واعلموا أيُّها المسلمون أنَّ هذا ليس بإسرافٍ ؛ لأنَّه  
 يَقومُ به غَرَضٌ أساسِيٌّ، وهو إرضاءُ الحبيبِ صَلَّى اللهُ تعالى  
 عليه وَسَلَّمَ، بل هذه الصَّفَقَةُ رابحةٌ، رَحِيصَةٌ إنَّ رَضِيَ رسولُ  
 الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهدمِ القُبَّةِ، كما ظَهَرَ من قصَّةِ سيِّدنا

(١) أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب الأدب، ٤/٤٦٠، (٥٢٣٧).



إبراهيم خليل الله على نبينا وعليه الصلاة والسلام أنه استعدَّ  
لذبح ولده لرضا الله عز وجل<sup>(١)</sup>.

عن أبي زكريا التيمي قال: بينما سليمان بن عبد الملك  
في المسجد الحرام إذ أتى بحجر منقور، فطلب من يقرؤه،  
فأتى بوهب بن منبه، فقرأه، فإذا فيه: يا ابن آدم! إنك لو رأيت  
ما بقي من قرب أجلك لزهدت في طول أملك ولرغبت في  
الزيادة من عملك، ولقصرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك  
غداً ندماً لو قد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك  
فبان منك الولد القريب ورفضك الوالد والنسب، فلا أنت إلى  
دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة قبل  
الحسرة والندامة<sup>(٢)</sup>.

فينبغي على المسلم أن يحاسب نفسه وأن يُراجع  
أعماله، وأن يُدقق فيها النظر، وأن يُقلع عن المعصية، وأن يندم  
على فعلها، ولا يعتر بطول الأمل، ولا يقترف الذنوب ويستغل

(١) "مرآة المناجیح"، ٢١/٧.

(٢) أورده الإمام ابن أبي الدنيا في "موسوعته"، كتاب قصر الأمل، ٣/٣١٨، (٦٨)،  
وأبو الفرج عبد الرحمن المعروف بـ"ابن الجوزي" في "ذم الهوى"، الباب  
الخمسون فيه وصايا ومواعظ وزواجر، ص ٤٣٦.

بالأعمال الصالحات وَيَسْتَعِدُّ لِلْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا يَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ فِي  
الدنيا والآخرة، وَلَا يَحْصُلُ عَلَى الْفِكْرِ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا إِذَا جَعَلَ  
الموتَ نَصَبَ عَيْنِهِ، وَلَمْ يَتَأَثَّرْ بِمَتَاعِ الدُّنْيَا، وَلَمَّا فَرِحَ بِالدُّنْيَا  
فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يَقُودُهُ عُمُرُهُ إِلَى أَجَلِهِ، وَتَقُودُهُ حَيَاتُهُ  
إِلَى مَوْتِهِ، وَحُكِيِّ أَنَّهُ نَظَرَ ابْنُ مُطِيعٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ذَاتَ يَوْمٍ  
إِلَى دَارِهِ، فَأَعْجَبَهُ حُسْنُهَا، فَبَكَى وَقَالَ: وَاللَّهِ! لَوْلَا الْمَوْتُ  
لَكُنْتُ بِكَ مَسْرُورًا، وَلَوْلَا مَا نَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ ضَيْقِ الْقُبُورِ لَقَرَّتْ  
بِالدُّنْيَا أَعْيُنُنَا، ثُمَّ بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ارْتَفَعَ صَوْتُهُ (١).

وَحُكِيِّ أَنَّهُ دَخَلَ مَلِكُ الْمَوْتِ عَلَى سَيِّدِنَا دَاوُدَ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الَّذِي لَا يَهَابُ الْمُلُوكَ، وَلَا  
تَمْنَعُ مِنْهُ الْقُصُورَ، وَلَا يَقْبَلُ الرِّشَاءَ، فَقَالَ: إِذْنًا أَنْتَ مَلِكُ  
الموتِ، وَإِنِّي لَمْ أَسْتَعِدِّ بَعْدَ، فَقَالَ لَهُ: يَا دَاوُدُ! أَيْنَ فُلَانٌ  
جَارُكَ؟ أَيْنَ فُلَانٌ قَرِيْبُكَ؟ قَالَ: مَاتَا، قَالَ: أَمَا كَانَ لَكَ فِي  
مَوْتِ هَؤُلَاءِ عِبْرَةٌ؛ لِتَسْتَعِدَّ بِهَا، ثُمَّ قَبَضَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢).

(١) أخرجه الإمام ابن أبي الدنيا في "موسوعته"، كتاب قصر الأمل، ٣/٣٦٢،  
(٢٧٢)، وذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت وما بعده، الباب

الثاني في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طوله وكيفية معالجته، ٥/١٩٦.

(٢) "المستطرف" لمحمد بن أبي أحمد الأبهسي، ٤٧٤/٢.

فينبغي لكلّ مسلم أن يُكثر من ذكر موته ويستعدّ  
 للآخرة ومع ذلك يُزكّي قلبه ويُطهّره من المهلكات، ويجلس  
 مع حضور القلب السليم من مُنكرات الأخلاق، ويتذكّر أحبابه  
 وأصدقائه الذين ماتوا ويتخيّلهم عنده، ثمّ ينظر ويتفكّر في  
 أحوالهم كيف كانوا يحرصون على الدنيا ويشمرون لعماريتها  
 مع نسيان الآخرة؟ كيف كانوا يشتغلون عنها ويسوّفون في  
 العمل لها؟ كيف كانوا يطيلون الآمال؟ كيف كانوا يتحمّلون  
 المشقّة والذلّ في طلب الدنيا؟ وكم من عملٍ لم يستكملوه  
 وكم من هدَفٍ لم يصلوه؟ وكانوا راغبين في زينة الدنيا  
 ولذاتها، ولكن قد خرجتْ أكفانهم من عند القصار، وهم  
 غافلون عنها، فجاءتهم الآجال، وخذلتهم الآمالُ وسلبتهم بهاء  
 النعمة ففارقوا الأحبة والأهل، وصار أبأؤهم في غمٍّ، وركبَ  
 أزواجهم الهُم وتردّدت في الطرقات أبناءؤهم، وتوزّعت ورثتهم  
 ديارهم وأموالهم.

ثمّ يتفكّر وينظر في أحوال قبورهم، لعلّها خرقت  
 الأكفان، ومزقت الأبدان، ومسخت الوجوه، وهدمت الأسنان  
 اللامعة، وسارت العيون الحسنة على الخدود، وانتشرت

الأشعار، وَلَصَقَتِ الدِّيدَانُ بِالْأَبْدَانِ، وَمَصَّتِ الدَّمَّ وَأَكَلَتِ  
اللَّحْمَ، وَصَارَ الْمَاءُ الَّذِي فِي الْفَمِ صَدِيدًا، وَالَّذِي فِي الْعَيْنَيْنِ  
قِيحًا، وَالَّذِي فِي الْأَنْفِ دَمًا، وَسَقَطَتِ الْحَدَقَتَانِ عَلَى الْوَجْهِ،  
وَفَرَقَتِ الْكَتِفَانِ مِنَ الذَّرَاعَيْنِ، وَالرُّكْبَتَانِ مِنَ السَّاقَيْنِ، وَالسَّاقَانِ  
مِنَ الْقَدَمَيْنِ، وَالذُّوْدُ يَدْخُلُ مِنَ الْفَمِ وَيَخْرُجُ مِنَ الْمَنْخَرِ.

ثُمَّ يَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ كَيْفَ أَنَّهُ يَصِيرُ إِلَى هَذِهِ الْحَالَةِ  
وَيَكُونُ فِي حَالِ النُّزْعِ وَيَحْضُرُ الْأَقْرَابُ وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ تُغْمَضُ  
الْعَيْنَانِ، وَيُوضَعُ الرَّدَاءُ، وَتَرْتَفِعُ الْأَصْوَاتُ، ثُمَّ يُدْعَى الْعَسَّالُ  
فَيُضَعُهُ عَلَى السَّرِيرِ وَيُغَسِّلُهُ، وَيُكَفِّنُهُ ثُمَّ يَضَعُ النَّاسَ جَنَازَتَهُ عَلَى  
عَوَاتِقِهِمْ، وَيُخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْتِهِ الَّذِي قَضَى عُمُرَهُ فِيهِ، وَبَدَلَ كُلِّ  
جُهْدٍ فِي بِنَائِهِ وَيَذْهَبُونَ بِجَنَازَتِهِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ.

ثُمَّ يَهِيلُونَ عَلَيْهِ التُّرَابَ وَيُدْفِنُونَهُ، وَيَنْصَرِفُونَ عَنْهُ، وَلَا  
يَدْخُلُ قَبْرَهُ مَعَهُ غَيْرُهُ مَعَ ضَيْقِهِ وَوَحْشَتِهِ، ثُمَّ يُخَوِّفُ نَفْسَهُ أَنَّهُ  
يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ وَيَتَمَزَّقُ بَدَنُهُ وَتَأْكُلُهُ الدِّيدَانُ، وَتَنْتَشِرُ الْعِظَامُ، وَيَجِيءُ  
مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، وَيَسْأَلَانِهِ، ثُمَّ يَتَفَكَّرُ فِيمَا بَعْدَ الْقَبْرِ مِنْ حَشْرٍ وَنَشْرٍ  
وَصِرَاطٍ وَمَوْقِفٍ وَانْصِرَافٍ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ،  
فَبِالْإِسْتِحْضَارِ لِهَذِهِ الْمَعَانِي يَحْصُلُ الْفِكْرُ فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ،

وَيَمِيلُ الْقَلْبُ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَيَزْدَادُ نَشَاطُ الْإِمْتِثَالِ  
لِلْأَوَامِرِ وَالاجْتِنَابِ عَنِ الذُّنُوبِ، وَيَنْبَغِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ  
يَتَعَوَّدَ قِرَاءَةَ هَذِهِ الرِّسَالَةِ أَوْ سَمَاعَ هَذِهِ الْمَحَاضِرَةِ مَرَّةً عَلَى  
الْأَقْلَى فِي كُلِّ شَهْرٍ فَيُفِيدُهُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

**أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:** إِنَّ السَّلَفَ الصَّالِحَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى  
كَانُوا يُكْثِرُونَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَلِذَلِكَ كَانُوا يَحْتَرِزُونَ مِنْ  
الذُّنُوبِ وَالْإِنْهَمَاكِ فِي لَذَاتِ الدُّنْيَا وَيَسْتَعِدُّونَ لِلْأَعْمَالِ  
الصَّالِحَاتِ وَيَخَافُونَ مِنْ رَبِّهِمْ.

وَعَنْ يَزِيدِ الرَّقَاشِيِّ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ  
وَهُوَ يَبْكِي بُكَاءً شَدِيدًا، قُلْنَا لَهُ: مَا أَبْكَاكُ؟ فَقَالَ: أَبْكَانِي اللَّيْلَةُ  
الَّتِي صَبَّيْحَتُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: جَدِيرٌ بِمَنْ الْمَوْتُ  
مَصْرَعُهُ وَالتُّرَابُ مَضْجَعُهُ وَالدُّوْدُ أُنَيْسُهُ وَمُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ جَلِيسُهُ  
وَالْقَبْرُ مَقْرَهُ وَبَطْنُ الْأَرْضِ مُسْتَقَرُّهُ وَالْقِيَامَةُ مَوْعِدُهُ وَالْجَنَّةُ أَوْ  
النَّارُ مَوْرِدُهُ: أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ فِكْرٌ إِلَّا فِي الْمَوْتِ وَلَا ذِكْرٌ إِلَّا لَهُ

<sup>(١)</sup> ذَكَرَهُ الْإِمَامُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي "مَوْسُوعَتِهِ"، كِتَابِ الرِّقَةِ وَالبِكَاءِ، ٣/٢٣٠،  
(٣٠٠)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي "تَأْرِيخِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ"، ٣٦/٢٦.

ولا استعداداً إلا لأجله ولا تدبيراً إلا فيه ولا تطُّعُ إلا إليه ولا  
 تعريجاً إلا عليه ولا اهتماماً إلا به ولا حولاً إلا حولَه ولا انتظاراً  
 ولا ترَبُّصاً إلا له وحقيقاً بأن يَعُدُّ نفسه من الموتى ويرأها في  
 أصحاب القبور فإنَّ كلَّ ما هو آتٍ قريبٌ والبعيدُ ما ليس  
 بآتٍ<sup>(١)</sup>. وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْكَيْسُ مَنْ  
 دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمَلَ لِمَا بَعَدَ الْمَوْتَ»<sup>(٢)</sup>.

كان يزيدُ الرَّقَاشِيُّ رضي اللهُ تَعَالَى عَنْهُ يقول: مَنْ كَانَ  
 الْمَوْتُ مَوْعِدَهُ، وَالْقَبْرُ بَيْتَهُ، وَالثَّرَى مَسْكَنَهُ، وَالذُّوْدُ أُنَيْسَهُ، وَهُوَ  
 مَعَ هَذَا يَنْتَظِرُ الْفَرَغَ الْأَكْبَرَ، كَيْفَ تَكُونُ حَالَتُهُ، ثُمَّ يَبْكِي حَتَّى  
 يُغَشَى عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup>. وَعَنْ سَيِّدِنَا مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قِيلَ  
 لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: كَيْفَ يُصْبِحُ مَنْ كَانَ مُنْقَلَبَهُ مِنْ دَارٍ  
 إِلَى دَارٍ، وَلَا يَدْرِي إِلَى الْجَنَّةِ يَصِيرُ أَمْ إِلَى النَّارِ<sup>(٤)</sup>.

(١) "إحياء علوم الدين"، كتاب ذكر الموت وما بعده، ١٩١/٥.

(٢) ذكره الترمذي في "سننه"، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ٢٠٨/٤،

(٢٤٦٧)، وابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له،

٤/٤٩٦، (٤٢٦٠)، والحاكم في "المستدرک علی الصحیحین"، ٣٥٧/٥،

(٧٧١٤)، والطبراني في "المعجم الصغير"، ص ٣٦.

(٣) "المستطرف"، الباب الحادي والثمانون، ٤٧٧/٢.

(٤) "تنبيه الغافلين" لأبي الليث السمرقندي، ص ٣٠٦.

قال سيدنا عمرُ بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه في خُطْبَتِهِ: إِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارٍ قَرَارٍ كَمِ دَارِ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْفَنَاءَ، وَكَتَبَ عَلَى أَهْلِهَا الظُّعْنَ عَنْهَا، فَكَمِ مِنْ عَامِرٍ مُوثِقٍ عَمَّا قَلِيلٍ يَخْرَبُ، وَكَمِ مِنْ مُقِيمٍ مُعْتَبِطٍ عَمَّا قَلِيلٍ يَظْعَنُ، فَأَحْسِنُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ مِنْهَا الرَّحْلَةَ بِأَحْسَنِ مَا بَحَضَرْتَكُمُ مِنَ التُّقْلَةِ، وَتَزَوَّدُوا، فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى<sup>(١)</sup>.

وَعِظَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَخَا لَهُ فِي اللَّهِ وَخَوْفَهُ بِاللَّهِ فَقَالَ: يَا أَخِي! إِنَّ الدُّنْيَا دَحْضٌ مَزَلَّةٌ، وَدَارٌ مَدَلَّةٌ، عَمْرَانُهَا إِلَى الْخَرَابِ صَائِرٌ وَسَاكِنُهَا إِلَى الْقُبُورِ زَائِرٌ، شَمْلُهَا عَلَى الْفُرْقَةِ مَوْقُوفٌ وَغِنَاهَا إِلَى الْفَقْرِ مَصْرُوفٌ، الْإِكْتَارُ فِيهَا إِعْسَارٌ وَالْإِعْسَارُ فِيهَا يَسَارٌ فَافْزَعْ إِلَى اللَّهِ وَارْضَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَا تَتَسَلَّفْ مِنْ دَارِ بَقَائِكَ إِلَى دَارِ فَنَائِكَ، فَإِنَّ عَيْشَتَكَ فِيءٌ زَائِلٌ وَجِدَارٌ مَائِلٌ، أَكْثَرُ مِنْ عَمَلِكَ وَأَقْصَرُ مِنْ أَمَلِكَ<sup>(٢)</sup>.

قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: إِنَّ أَحْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَتَيْنِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ

(١) "إحياء علوم الدين"، كتاب ذكر الموت وما بعده، ٢٠١/٥.

(٢) "إحياء العلوم"، ٢٥٩/٣، و"الزهد وقصر الأمل" للشيخ أسعد الصاغري، ص ٦١.

الهُوَىٰ فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ، أَلَا  
وإنَّ الآخِرَةَ قَدْ ارْتَحَلَتْ مُقْبِلَةً، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ ارْتَحَلَتْ  
مُدْبِرَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلَا  
تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَغَدًا  
حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ<sup>(١)</sup>. وَآخِرُ خُطْبَةٍ خَطَبَ بِهَا عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ  
تَعَالَى عَنْهُ فِي جَمَاعَةٍ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ الدُّنْيَا  
لِتَطْلُبُوا بِهَا الآخِرَةَ، لَمْ يُعْطِكُمْوهَا لِتَرْكَبُوا إِلَيْهَا، إِنَّ الدُّنْيَا تَفْنَى  
وَالْآخِرَةُ تَبْقَى، لَا تُبْطِرُكُمْ الْفَانِيَةَ وَلَا تَشْغَلَنَّكُمْ عَنِ الْبَاقِيَةِ،  
فَاتَرَوْا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ وَإِنَّ الْمَصِيرَ إِلَى  
اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّ تَقْوَاهُ جَنَّةٌ مِنْ بَأْسِهِ وَوَسِيلَةٌ مِنْ عِنْدِهِ<sup>(٢)</sup>.

فَنَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوقِظَنَا مِنْ رَقَدَاتِ الْغَفْلَةِ، وَيُوقِّعَنَا  
لِلتَّزَوُّدِ مِنَ التَّقْوَى قَبْلَ الثَّقَلَةِ، وَيَرْزُقَنَا اغْتِنَامَ الْأَوْقَاتِ فِي ذِي  
الْمَهَلَةِ، وَيَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ.

(١) ذكره الإمام ابن أبي الدنيا في "موسوعته"، ٣/٣١٣، (٤٩)، وابن الجوزي في  
"صفة الصفوة"، الجزء الأول، ١/١٦٩، وأبو نعيم في "الحلية"، ١/١١٧،  
(٢٣٥)، وأخرجه البخاري في "صحيحه"، بلفظ: قال علي رضي الله تعالى عنه:  
ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت... إلخ، ٤/٢٢٤.

(٢) وردت هذه الخطبة في "تاريخ مدينة دمشق"، عثمان بن عفان بن أبي العاص بن  
أمية، ٣٩/٢٣٨، و"البداية والنهاية" لابن كثير، ٥/٣٠٨.